علوى حافظ

النائب المشاكس الذى نشأ وفديا.. وانضم للضباط الأحرار

□ عبد الناصر كان متعاطفا مع الوفد فكرًا وعقيدة.

□ ثورة يوليو ماتت مع هزيمة يونيو ١٩٦٧.

□ السد العالى - أخر مصر زراعيا وأفسد التربة.

□ لو استمع قادة ثورة يوليو لنصائح «النحاس» لتغير وجه التاريخ.

□ مصطفى أمين كان مظلوما فيما نسب إليه.

□ ثورة يوليو ليس لها تاريخ.. ظهرت فجأة ولمعت كفلاش التصوير.

□ قمة البرلمانية أن يكون صوت النائب أعلى من أى مسئول.

□ المعارضة يجب أن تبقى معارضة للحاكم وتعمل على اسقاطه.

□ أتمنى أن تمارس الديمقراطية بطريقة «الهايدبارك»

علوى حافظ - النائب المشاكس الذى نشأ وفديا، وانضم للضباط الأحرار

علوى حافظ.. نائب صاحب صوت عال فى مجلس الشعب مثير للمعارك والعواصف.. ويكاد يكون النائب الوحيد الذى أحيل إلى لجنة القيم أكثر من مرة.. وليس هذا فحسب بل يكاد يكون أيضا هو النائب الوحيد الذى انضم إلى حزب الوفد الجديد.. وساعد فى قيام الحزب، وهو من ضباط ثورة يوليو.. وهو يفسر ذلك بأنه نشأ فى أسرة وفدية، وكان دخوله للكلية الحربية التى تخرج فيها عام ٤٨ بواسطة وفدية، وتدرج علوى حافظ فى المناصب العسكرية من مدرس فى الكلية الحربية إلى مدرس فى مدرسة المشاة حيث تعرف بجمال عبد الناصر الذى جنده فى تنظيم الضباط الأحرار.

وبعد عامين من قيام الثورة ترك العمل العسكرى ليشغل مناصب سياسية أخرى إلى أن بدأ مشواره فى العمل النيابى عام ١٩٦٠ وكان أصغر نائب فى البرلمان فى ذلك الوقت حيث لم يكن قد تجاوز الثلاثين من عمره إلا بأيام قليلة.. واستمرت مسيرته فى الحياة النيابية من خلال الاتحاد الاشتراكى وحزب مصر، ثم فى كل المجالس النيابية التى توالت بعد ذلك فيما عدا مجلسين فقط.. خلال هذا المشوار ساهم فى قيام التعدد الحزبى فى عهد السادات ثم انضم إلى حزب الوفد الجديد ليدخل مجلس الشعب نائبا وفديا معارضا له أسلوبه الخاص فى المعارضة وله صولاته وجولاته فى العديد من القضايا الهامة.

كانت البداية مع علوى حافظ حول انضمامه لحزب الوفد، بينما كان من الضباط الأحرار رغم العداء الذى لا يخفيه الوفد للثورة.. وحول تفسير هذا التناقض قال: لقد ولدت فى أسرة وفدية.. وكنت ابنا لأب عضو فى لجنة الوفد فى قسم الدرب الأحمر بمحافظة القاهرة.. وكنت أحضر الخطب السياسية والمؤتمرات التى يعقدها الوفد.. وعندما دخلت المدرسة فى المرحلة الثانوية بالذات فى أواخر الثلاثينات كانت بكل مدرسة لجنة للطلبة الوفديين.. وكنت أنا أحد أعضاء اللجنة التى تتبع مدرستى.. حقا.. لم أكن زعيما.. أو قائدا ولكنى كنت أشارك بالهتاف واخرج فى المظاهرات.

وأذكر أن أول جرح اصبت به فى رأسى كان فى مظاهرة نتيجة لضربة من عصا عسكرى بلوك نظام فى السيدة زينب.. اثناء هتافنا للوفد فى مظاهرة فى هذا الميدان الشهير.

ودخلت الكلية العسكرية وكان دخولى بواسطة وفدية، فقد كانت هناك صعوبة بالغة فى التحاقى بهذه الكلية نظرا لصغر سنى وقصر قامتى.. وضعف بنيتى وكانت هذه الصعوبات الثلاث تقف عقبة امام أى طالب يرغب فى الالتحاق بهذه الكلية.

وعندما تخرجت وعينت بالجيش كنت ملازما وانا فى الثامنة عشرة من عمرى وفى هذا الوقت كانت حرب فلسطين قائمة.. وجاء توزيعى الوظيفى على مدينة الخرطوم.. وهناك سمعت عن ضابط كان يشغل قبلى المنصب الذى شغلته وكان اسمه جمال عبد الناصر.. وتعددت الأقوال حول كفاءته وفكره مما زاد شوقى لرؤيته.

بالإضافة لكل هذا تربيت فى أسرة فقيرة وعشت فى حى شعبى، وكنت دائما ولهذه الأسباب أتعاطف مع الطبقات الفقيرة والمطحونة كالعامل اليدوى وصاحب «الدكانة» وصاحب الفاترينة والقهوجى.. الخ.. وكل النماذج التى ترسبت فى وجدانى من طفولتى.

فلما عدت من الخرطوم وكنت أتمتع بسمعة طيبة فى عملى.. وكفاءة تحدث عنها العاملون معى والجمهور أو ما يمكن أن نسميه بأننى كنت ضابطا لامعا، فبرغم صغر رتبتى العسكرية كانت لواءات الجيش تعرفنى.

ولهذه الأسباب رشحت لأتولى التدريس فى احدى مدارس الجيش وفى هذه المدرسة تعرفت بالصاغ جمال عبد الناصر وكنت مازلت ملازما صغيرا.. وهو برتبة صاغ وحدثت بيننا ألفة شديدة ونتيجة لاحتكاكى به ومراقبته لتصرفاتى جندنى فى تنظيم الضباط الأحرار، ولقد كان جمال عبد الناصر يمثل لى مثلا أعلى فى أفكاره وثوريته.

لهذا بمجرد أن صرح لنا أنه فى سبيل الإعداد لثورة للقضاء على الملك وانتزاع مصرمن قبضة الإحتلال الإنجليزى.. لاقت هذه الافكار هوى فى نفسى فقد كانت هذه أمنياتى وأنا طفل.. وكنت أهتف بها فى مظاهرات الوفد.

عبد الناصر كان متعاطفا مع الوفد

– هناك سر.. أحب أن أختصك به.. وقد لايجرؤ الكثيرون على البوح به فى أى ظرف من الظروف.

لقد كان عبد الناصر.. زعيما متعاطفا مع الوفد.. فكرا وعقيدة، وكان يحب مصطفى النحاس ولا يخجل من أن يصرح بأن الرجل فيه شىء لله وأن من يجىء عليه لا يكسب، ولقد سمعت هذه الأقوال منه شخصيا.. ولم تنقل إلىَّ..

وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو كان الوفد هو حزب الأغلبية وكان البرلمان برلمانا وفديا بالأغلبية المطلقة، وكان رئيس الوفد هو زعيم الأمة «مصطفى النحاس» مسافرا خارج مصر فى ذلك الوقت مع سكرتير عام الوفد.

وعندما عاد مصطفى النحاس وصحبه من الخارج واجتمعوا بالضباط الأحرار.. ليتعرفوا على فكرهم ومطالبهم.. حضرت أنا هذا اللقاء ولابد للتاريخ أن يعرف الناس بتفاصيل هذا اللقاء.. لأنه يمثل حلقة هامة فى تاريخ مصر

كان هناك مصطفى النحاس.. زعيم الأمة وجمال عبد الناصر قائد الثوار.. وزعيم الثورة الحقيقى.. فهو الذى أسس التنظيم وقاد الانقلاب، وكون الحركة قد نفذت بمشهد دراميكى فى أول الأمر.. فإن الإخراج للعملية كان يتطلب ذلك.. وتعريض شخصية كبيرة لإكتساب ولاء وثقة باقى الضباط الأحرار.. واحتراما لفروق الرتب العسكرية.. ولكن فى واقع الأمر كان جمال عبد الناصر هو المخطط والمدبر والمنظم والقائد لحركة الضباط الأحرار.. فى ثورة يوليو ١٩٥٢.. نعود إلى لقاء الضباط الأحرار بزعيم الوفد.. والذى تم فى منتصف ليلة وصول

مصطفى النحاس من الخارج.. والذى استقبلته قافلة عسكرية صحبته إلى مجلس قيادة الثورة من المطار رأسا.

وأذكر أن الزعيم مصطفى النحاس كان سعيدا وفرحا غاية الفرح لدرجة أنه - كما عرفت بعد ذلك - فرد سجادة الصلاة فى الطائرة وصلى ركعتى شكر لله.. عندما اخبره الطيار بتنازل الملك عن العرش وخروجه من مصر.

إذن فخط سير الوفد.. وأهدافه لم تكن تتعارض من بدايتها مع ثورة يوليو بل بالعكس فربما قام ثوار يوليو لتدعيم جهد وكفاح الوفد، وعندما قابل النحاس أعضاء قيادة الثورة كان مصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين يمثلان الزعامة الوطنية الواثقة بنفسها التى تتكلم عن إيمان بصفتها لسان الأغلبية الشعبية فى مصر.

من الناحية الثانية.. كان العسكريون يمثلون الخوف من المستقبل فلم يكونوا يدرون كيف سيكون باقى الطريق.. نعم هم نجحوا فى الانقلاب وقضوا على الملك وأعوانه من عسكريين ومدنيين ووضعوهم فى السجون، أما ما بعد ذلك فلم تكن لديهم خطة أو منهاج حتى عبد الناصر نفسه لم تكن لديه رؤية مستقبلية لما يمكن ان تسير عليه الثورة فى المستقبل.

وكان يجب أن يستكمل الثوار الأحرار.. المفهوم السياسى والمفهوم الديمقراطى، وهذا هو مانصحهم به النحاس باشا بالتحديد.

وأذكر مشهد اجتماع النحاس بالضباط الأحرار جيدا.. كأنه حدث بالأمس القريب.. صافحهم وقبلهم كلهم.. ثم أمدهم بثلاث نصائح سمعتها بأذنى.. وستكون أنت أول من يسمعها غيرى.

كان الضباط الأحرار فى ذلك الوقت يبحثون عن ضابط كفء يجعلونه وصيا على العرش.. وعندما علم النحاس بنيتهم هذه.. أصابه قلق عظيم ونصحهم بألا ينصبوا أى عسكرى.. وصيا على العرش ورشح لهم «بهى الدين بركات».. وكان

من القيادات الوطنية المعروفة وعضوا فى البرلمان المصرى.. وسياسيا محنكا.. معتدل الفكر.

أما نصيحته الثانية لهم.. بألا يغريهم الحكم.. فينفردوا به، وكان النحاس يرى عن قناعة ضرورة ألا يحكم العسكريون بلدا. وقال لهم.. لقد أديتم دوركم ببراعة.. وأنقذتم البلد من الملك وأعوانه.. وعليكم أن تسلموا القيادة للسياسيين ليكملوا دوركم، وحذار أن تعتدوا على الدستور.

وكانت هناك شائعات قد ترددت بأن تغييرا سوف يجرى للدستور المصرى ونصحهم النحاس بألا يمسوا الدستور.

وكانت نصيحته الثالثة لهم.. ألايقتربوا من حزب الوفد.. بأى مساس أو تعدٍّ.. فلحزب الوفد ثقله كحزب سياسى حقيقى نشأ مع ثورة ١٩١٩ وله جذوره الممتدة فى أعماق الشعب المصرى ويمثل ضمير الأمة.

وللأسف الشديد.. بمجرد أن خرج مصطفى النحاس.. اجتمع الحواريون وفى مقدمتهم سليمان حافظ.. وغسلوا أمخاخ قادة الثورة من كل ماسمعوه من مصطفى النحاس.

التفاف كذابى الزفة

وأسأل علوى حافظ:

ترى ماذا كان سيحدث لو استمع قادة الثورة لنصائح النحاس؟

يقول: كانت ستتغير مسيرة الثورة بالكامل. ولكانت سارت فى اتجاهها السليم مائة فى المائة ولكان التغيير والإصلاح قد تمّا بهدوء وروية واتقان وبحنكة سياسية. وللأسف.. ما حدث كان عكس كل ما نصح به النحاس.. بدأ العسكريون ينفردون بالحكم.. وحكموا مصر والتف حولهم الطفيليون وكذابو الزفة.. والمنافقون.. وما أكثر هؤلاء.

وتلا ذلك الارتجال والعشوائية.. ومحاولة الاستعراضات الصورية التى لم تخدم البلد فى أى شىء.. فخرج إلى الوجود مشروع تأميم قناة السويس ومشروع السد العالى.. وللعلم لقد رفض حزب الوفد مشروعا لاقامة السد العالى مرتين خلال حكمه.. أول مرة قدم المشروع خواجه يونانى معروف عنه إدمانه للخمر وعرضه على حكومة الوفد.. ورفض، ثم عاود الكرة مرة ثانية.. وبعد بحث المشروع اتضحت آثاره السيئة وكم سيضر مصر زراعيا.. ومائيا وكيف سيفسد التربة وحللوا كل الظواهر التى نعانى منها اليوم.. وبينوها..

زعيم المعارضة

ويعود علوى حافظ لمقولته السابقة.. لو استمع ثوار يوليو لنصائح النحاس.. لكان قد تغير وجه التاريخ.. وماكانوا قد وقعوا فيما وقعوا فيه من إنحرافات، لقد كان مصطفى النحاس زعيما ومن أولياء الله الصالحين.. وكان ملهما باطنا وظاهرا باعتراف الجميع، وكان طاهر اليد والقلب واللسان والضمير.

ويستطرد علوى حافظ مسترجعا تاريخ تلك الحقبة من تاريخ الثورة فيقول:

لقد قصدت من رواية كل ماذكرت أن أبين كيف كان للوفد منذ شبابى المبكر أفضاله الغامرة على.. لقد توسط لى الوفد.. فى دخول الجيش الذى تعلمت فيه الثورة، ومن هذه الثورة خرجت بهدفين أو بمعنى أدق وضعت لنفسى هدفين أولهما التخلص من الاحتلال وثانيهما التخلص من الملك.

وقد تعجب لو قلت لك إن منشورات الضباط الاحرار التى كانت تخرج من الجيش كانت ملهمة من فكر الوفد.. وأغلبها كان يستعين بأجزاء من خطب النحاس، لقد كان هناك انسجام تام بين عبد الناصر فكرا وتخطيطا وبين الوفد.

. لقد كنت مع ثورة يوليو فكرا وعقيدة حتى خروج الملك.. كنت معها حتى خرج الملك وخرج الإنجليز ثم بدأت أناقش سياستها وفكرها بعد ذلك بحدة.. خاصة عندما أصبحت عضوا فى البرلمان لدرجة أن عبد الناصر عندما زار

البرلمان – وربما كثيرون من الناس لا يعرفون ذلك وكنت قد قدمت استجوابا لوزير التعليم.. فوجئت بعبد الناصر يأخذنى تحت إبطه ويقول لأنور السادات.. ألا يوجد لديك مكتب فاخر.. فلما أجابه أنور السادات بالايجاب قال له: أثثه تأثيثا جيدا وعلق على بابه لافتة بعنوان زعيم المعارضة، وليكن هذا مكتب علوى حافظ من الغد.. وضحكنا وسألناه.. هل هذا توجيه أم هزل؟! ولكنه قال لى: لقد أصبحت لغتك معارضة.. وفهمت المعنى الذى يقصده.. فالنقد بين العسكريين غير مباح وغير مستساغ، ومن أصعب الأمور أن توجه نقدا لقائد لك فى العسكرية.

أصفار على الشمال

وحول مدى قناعة عبد الناصر بالديمقراطية يقول علوى حافظ:

– جمال عبد الناصر فى بدايته كان مؤمنا بالديمقراطية.. وأيضا كان يبحث عن الديمقراطية النظيفة بدليل أن من أبرز أهداف الثورة الستة. إقامة حياة ديمقراطية سليمة، ولكن يبدو أن شهوة السلطان والزعامة المبهرة.. قلبت هذا المفهوم فى عقله.. ولو أضفنا إلى هذا حجم النفاق المصرى والتأليه الذى صاحب موكب الثورة منذ لحظاتها الأولى.. أعطاه فرصة لتغيير هذا المفهوم.. فصمم على أن يحكم منفردا.. وأن يظل كل من بجانبه أصفارا على الشمال، وكانت هذه الطريقة أول سقطة ديمقراطية فى مفهوم الزعيم.. وقائد الثورة.

الورثة الشرعيون

ويفسر علوى حافظ الهجوم الشديد من الوفد على ثورة يوليو منذ البداية ويشرح أسباب الخلاف قائلا: لم يكن الأمر خلافا.. ولكنه كان تصفية للحسابات، بمعنى أن الثوار العسكريين اعتبروا أنفسهم الورثة الشرعيين لمصر.. بعد نجاح الانقلاب، وهذا مفهوم كبير.. وبالتالى اعتبروا أنفسهم أصحاب الحق فى المغانم.. بداية من ثروة محمد على وقصور الاغنياء وشقق البلجيكيين

والايطاليين والفرنسيين واليونانيين والجاليات الاجنبية وماتحويها من تحف ونفائس حتى السيارات التى كانوا يمتلوكنها.

فلما أعلنوا أهدافهم وكان أحد بنودها.. تصفية الإقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم.. لم ينفذوها بصدق بل بالعكس كونوا نوعا جديدا من الاقطاع خاصًا بهم.. وبدلوا الاقطاع باقطاع من نوع جديد.. وقد كان الاقطاع الذى حاربوه شرعيا، فقد كونه أصحابه بعرقهم وجهدهم فاستصلحوا الأراضى البور ثم تملكوها.. أو تجارة أسسوها ونجحوا فى تدعيمها وتقويتها.. أو بلد ساسوها، فإذا كوّن هؤلاء ثروة نتيجة لهذا فقد كانوا على حق، فهم بذلوا العرق والجهد وخدموا شعبا استخدموه فى هذه الأراضى أو تلك التجارة أى فتحوا بيوتا ووسعوا أرزاقا.

ولكن الثورة قلبت هذا المفهوم وحولته إلى اقطاع مغانم وأكثرهم كونوا ثروات غير مشروعة، وهكذا خلقت الثورة نوعا من الإقطاع الجديد ولم يصبح الأمر سيطرة لرأس المال على الحكم. وإنما أصبح الاقطاع والفساد هما الحكم ذاته.

سلسلة فاشلة

ومن منطلق هذه الصراحة.. سألت السيد علوى حافظ.. ماذا كان موقف الثورة من رجال الاحزاب؟ أجاب قائلا: لم تكتف الثورة بذلك بل قامت بحل الاحزاب السياسية وكان أول حزب سياسى تأثر بالحل هو حزب الوفد.. حزب الشعب.. الذى يمثل الاغلبية وقاموا باغلاق المدرسة السياسية.. ووضعوا رؤساء الاحزاب ومدارسهم السياسية فى قفص الاتهام.. وحرموهم من الممارسة العادية لحياتهم الطبيعية.. فى الوقت نفسه احتكروا كل هذه الاشياء لأنفسهم.

وبدأت الثورة تكون حزبا للثورة وفشلت.. بداية من هيئة التحرير والاتحاد القومى والاتحاد الاشتراكى الأول ثم الاتحاد الاشتراكى الثانى ثم حزب مصر.. وأخيرا الحزب الوطنى الديمقراطى.. كلها سلسلة فاشلة انتهت إلى مانراه اليوم.

وهناك سبب آخر وراء خلاف الوفد مع الثورة، كلنا يعرف أن كثيرا من الشخصيات الكبيرة تنتمى إلى حزب الوفد كانت تمتلك مساحات كبيرة أو معقولة من الأراضى. فجاءت الثورة بقانون الإصلاح الزراعى فحطمت مصر زراعيا.. وقلبت الملكية الزراعية الكبيرة إلى فتات.. والغت دور الفلاح وخرجت ببدعة الخمسين فى المائة من العمال والفلاحين.. فضيعت الفلاح والأرض.. وها نحن أولا نعانى من آثار ذلك.. والحكومة الحالية فشلت فى النظر فى قانون العلاقة بين المالك والمستأجر للأرض الزراعية.

بل إن الأرض الزراعية تزداد سوءا ووصل بنا الأمر إلى أن أصبحنا نستورد غذاءنا من الخارج ونحن دولة زراعية وندفع مقابل ذلك عشرين مليار دولار سنويا.

إذن فلقد كانت نظرة الوفد المستقبلية صحيحة وعندما بدأ الوفد يعارض الثورة كان ذلك رد فعل لما فعلوه، ولم يبدأ الوفد بعداء الثورة ولكن الثورة هى التى بدأت به.

نصب سياسى

وحول تجارب الاتحاد الاشتراكى.. والمنابر وماقبلها.. يقيم السيد علوى حافظ هذه التجارب فى الديمقراطية فيقول كل هذه التجارب كانت محاولات فاشلة - بداية من هيئة التحرير ومرورا بكل الأشكال التى تلت هذه التجربة.. لقد كانوا يريدون أن يؤسسوا حزبا سياسيا للثورة بأى شكل بدأوه بمجموعة الضباط الأحرار واستغلوا علاقتهم بالبيئة التى نشأوا فيها.

وأعطيك مثلا أنا باعتبارى من حى شعبى فى وسط القاهرة، أستطيع من خلال علاقاتى الانسانية التى اكتسبتها من عائلتى وطفولتى.. ان أؤسس حزبا ولو أننى قد نجحت فى ذلك.. فلم يكن بسبب تطبيق مبادىء الثورة، ولكن للعلاقات الأصيلة التى بينى وبين الناس فلم أكذب عليهم يوما ولم أضللهم أو

أعدهم بالمعجزات التى لاتتحقق أو كما يقول المثل الشعبى «لم أعمل لهم البحر طحينة» بل صارحتهم بكل الامكانيات وانه ليس فى المستطاع أكثر مما هو موجود، وليس فى الإمكان أبدع مما كان، ورآنى أهل دائرتى ثائرًا وناقدًا ومعارضًا شرسا وسمعونى وأنا أنقد الميثاق وبيان ٣٠ مارس وموقف تنحية الرئيس عبد الناصر. وكل مارأيت وسمعت كلها عمليات نصب سياسى..

وأى حزب سياسى ما هو إلا عقيدة.. أو زعيم.. أو تاريخ، فثورة يوليو ليس لها تاريخ، لقد ظهرت فجأة ولمعت كفلاش التصوير، وأطفأتها سلوكيات الثوار الذين قاموا بالثورة التى كانت تقف على نقيض أهداف ومبادىء الثورة التى اعلنوها ونادوا بها.

لقد كانت تطلعات ثوار يوليو الشخصية على نقيض منهجهم الثورى ولم يكن هناك التزام بخط الثورة.. وأنا أعتقد لهذه الاسباب أن كل المحاولات قد فشلت بدليل هذا التعدد والتلون الذى رأيناه، فلو كانت هيئة التحرير قد نجحت لما كنا قد سمعنا عن الأشكال الأخرى للحياة النيابية التى ابتدعتها الثورة.

وأى صُورة شكلتها الثورة بعد ذلك لم تثبت ولم تنجح فرأينا بعد هيئة التحرير الاتحاد القومى ثم بدل الاتحاد الاشتراكى بها والذى غيروه مرتين وفشل فظهرت المنابر ثم دخل من المنابر إلى أشكال الوسط واليسار واليمين، ثم تورط مؤخرا مع الوفد.. وعندما رآه يكتسح الساحة أنشأوا فى مقابله حزبين آخرين ليقاوماه، إذن فالعملية لم تكن بناء وطن.. ولكنها كانت تصفية حسابات.

نائب عن الشعب كله

وأسأل السيد علوى حافظ:

فى تقديرك كنائب مخضرم.. ماهوالدور الذى يجب أن يقوم به عضو مجلس الشعب فى مصر! داخل المجلس.. وخارجه؟

قال: عضو مجلس الشعب يجب أن يؤمن بمسئوليته عن الوطن ويحترم القسم الذى يقسمه فى أول حياته النيابية «أقسم بالله العظيم أن أحترم الدستور وأرعى مصالح الشعب». فكانت النتيجة أن الذى يترك الدستور ليعيثوا فيه فسادا.. قد أخل بالقسم وأى خروج أو مخالفة دستورية إن لم يواجهها النائب وبسرعة ومع أى شخص كان فإن الأمر يفلت من بين يديه.

وأنا أتصدى لأى تصرف خاطىء من أى إنسان مهما كان سواء كان فى اتفاق أو عقد أو معاهدة وأرعى مصالح الشعب فى المقام الأول، وأتناسى فى هذه الظروف تماما مصالح دائرتى الانتخابية الضيقة.. لأننى تحت قبة البرلمان نائب عن الشعب كله وليس عن جزء منه.. وللأسف مانراه اليوم من ممارسات نيابية لا يخرج عن تخليص مصالح وتبادل منافع ما بين النواب والوزراء وأبناء الدوائر الانتخابية، وكل هذه الأمور استثناءات.. وهى محرمة قطعا وإذا كان من واجب النائب التعرض للمظالم التى تقع على أبناء دائرته فإن ذلك لا يعنى أن أرفع هذه المظالم بالاستثناءات، والعرف النيابى يرى أن هذا منتهى الظلم وكثيرون لا يفهمون هذه الرؤية.

سألته: هل ترى أن عضو مجلس الشعب يجب أن يلتزم دائما بما يقرره رئيس الهيئة البرلمانية الحزبية؟

قال: لا.. ليس هذا ملزما، فليس معنى أن هناك رئيسا للهيئة أن يجردنى من فكرى وأسلوبى البرلمانى.. وألا يجبرنى على العزف على نغمة واحدة، فكل نائب لابد أن تكون له شخصيته المستقلة.

ويرفض السيد علوى حافظ تعبير الوفد الجديد فيقول: أنا لا أحب استخدام هذا المصطلح لأن الوفد الحالى هو استمرار للوفد القديم ولكن بانسان جديد له رؤية جديدة تتمشى مع مقتضيات العصر والاهداف الوطنية الثابتة ولابد له أن يستفيد من الدروس التى مر بها الوفد فى نضاله خلال تاريخه الطويل.

قمة البرلمانية

وعن صوته العالى فى المجلس وما يثيره من معارك وعواصف فى إستجواباته يبرر كل ذلك قائلا: ان ما تسميه معارك هو قمة البرلمانية فكونك ترفع صوتك على صوت أى مسئول فى مصر، فهذا يعنى ترجمة صحيحة لشعار العقيدة الوطنية الوفدية التى نادى بها يعد زغلول «الحق فوق القوة» والأمة فوق الحكومة».

فأنت فى موقع النيابة تمثل الأمة.. وتمثل الحكومة، وأنت فى موقع النيابة تتصدى للحق ولا تتصدى للظلم، فيجب لهذه الأسباب أن يكون صوت الحق عاليا وأن يكون أعلى من صوت الحكومة.

وأنا عندما استخدم الصوت العالى ليس للشوشرة ولكن للايضاح وللثبات على المبدأ، ولذلك تجدنى أكثر النواب تقديما للاستجوابات.

ففى تاريخ مصر كلها تقدم للبرلمان عشرة استجوابات فقط وكانت بالترتيب عن الاسلحة الفاسدة.. والكتاب الأسود لمكرم عبيد.. وباقى الاستجوابات وعددها ثمانية كانت لعلوى حافظ.. وكانت عن التلوث والأمن الغذائى والطاقة النووية والانهيار السكانى.. الأمن السياسى.. والأمن الاجتماعى وقرار ١١٩ وأنا أعد لأخطر استجواب سوف أقدمه بعد أيام قلائل عن حقيقة الفساد وطهارة الحكم فى مصر وأنا أعتبره ذروة ما قدمت من استجوابات.

وللعلم.. أقل استجواب قدمته استغرق منى ما لا يقل عن أربع ساعات من الأداء.. غير مئات الساعات من التحضير.

التفجير فى الوقت المناسب

وأسأل علوى حافظ.. لماذا هو أكثر النواب اصطداما بالمنصة.. هل بينك وبين المنصة الحالية موقف ما؟

– أى تصرف منى.. أو اصطدام بالمنصة سببه الأول والأخير خروج المنصة عن الحياد، فأولا المنصة تتسم بعدم العدالة والانحياز للحكومة، فالجالس على المنصة لابد أن يتجرد من شخصيته الحزبية.. ومهمته تنحصر فى حسن إدارة الجلسات وإحترام الدستور واعطاء الطرفين الرأى والرأى الآخر حق المبارزة والتراشق مهما كان العنف.

إن إتاحة فرص الحديث التى تحصل عليها شخصيا تقرر عكس ذلك!

– نعم.. ولكن أنا أنتزع هذه الفرص بصفتى علوى حافظ ولاتمنح لى كما ينص الدستور.. والحقيقة الثانية.. اننى يمكننى ان اتكلم وقتما أشاء وانتزع حقى ولا أنتظر من يقدمه لى وهذه مهارة برلمانية، وقد ذكرت جريدة الأخبار هذه الحقيقة مؤخرا وقالت إن علوى حافظ أهم ما يميزه الصوت العالى والخبرة وإجادة دراسته لموضوعاته والتفجير فى الوقت المناسب، ولذلك أحرج الحكومة ولم يستطع احد أن يرد عليه رغم اتهامه لهم بأحقر الاتهامات.

إن النتيجة التى توصلت إليها.. وانا سعيد بها ومبتهج واعتبرها ذروة نجاحى أننى أوقفت استخدام الطاقة النووية فى مصر.. رغم العروض ورغم المناورات التى قامت بها الحكومة.

حالة ميئوس منها

وحول طبيعة العلاقة القائمة الآن بين أعضاء المعارضة.. والحزب الوطنى فى مجلس الشعب يضع السيد علوى حافظ النقاط فوق الحروف قائلا:

أعضاء المعارضة.. للأسف لايفرقون مابين مسئولياتهم العامة ومصالحهم الشخصية وكثيرا ما تتغلب مصالحهم الشخصية على مسئولياتهم العامة وينسى النائب منهم انه نائب معارض أمام طلب استثنائى لأحد معارفه أو أصدقائه أو أبناء دائرته فيتهاون فى مسئوليته كمعارض وقد يهادن وقد يجامل.

ولا توجد قضية تتمثل فيها المعارضة فى موقف حازم شديد فى مواجهة الحكم الآن بل تستطيع أن تقول بأن المواجهات قد توارت خلف قنوات الإتصال، وهذا أمر خطير، فالمعارضة يجب أن تبقى معارضة للحاكم ويكون هدفها اسقاط هذا الحكم واستبداله بحاكم أرشد منه وأخلص منه لو استدعى الأمر ذلك.

أعود فأسأل السيد علوى حافظ.. لماذا تصرون على انتقاد الديمقراطية فى مصر رغم أنك تطرح كل القضايا بلاحساسية حتى سلطات رئيس الجمهورة؟

– منذ عدة شهور كنت أتحدث عن توجيهات رئيس الجمهورية.. وأنتقدها وأنا عندما أنظر لهذه الأمور لا أنظر إليها من وجهة نظر علوى حافظ الشخصية ولكن من منظورى الحزبى والوطنى، فالممارسة على المسرح السياسى ليست حقيقة ولكن تنقصها الجدية والحزم ووضوح الرؤية.. ربما تكون هذه الصفات متوافرة فى علوى حافظ لأنه مرتبط ببرنامج مع نفسه وملزم نفسه بالصدق فى القول والإخلاص فى العمل.. أما الآخرون فلا يلتزمون بشىء ويعتبرون وجودهم تحت قبة البرلمان فى إطار حزبهم هو فرصة العمر بالنسبة لهم.. ليحققوا لذاتهم أقصى مكاسب دنيوية.

الديمقراطية بطريقة هايدبارك

وبحماس يؤيد السيد علوى حافظ اقامة مزيد من الاحزاب السياسية ويحدد الأسباب قائلا: يجب ألا نترك أى تيار بلا حزب حتى لايمارس عمله من تحت الأرض، وكم أتمنى لو نمارس الديمقراطية بطريقة حديقة هايدبارك الشهيرة ونخصص مثلا حديقة الحرية فى مصر.. كحديقة مفتوحة للمناقشات الديمقراطية وليكن كل يوم خميس مثلا.. يستطيع أى إنسان أن يقول ما يعتقده بلا خوف ولارقابة، وفى الإسكندرية يمكن أن نخصص حديقة الشلالات أيضا لمثل هذا العمل، وهذه الفكرة سوف أطالب بها فى البرلمان وهذه الفكرة تتيح لكل فرد ان يعبر عما بنفسه ويجد من يسمعه دون أن يعتدى عليه.

أما إذا كانت لأى فرد انتماءات حزبية واستطاع أن يجمع أكبر عدد من مؤيديه فلماذا لا يقيم حزبا يعبر عن فكره وآرائه حتى لو وصل الأمر إلى عشرة أحزاب أو أكثر، فالشعب لن يعطى صوته فى النهاية إلا لمن يثق فيه.

وفى النهاية يحدد علوى حافظ رأيه فى مستقبل الديمقراطية فى مصر وطرق تصحيح المسار فيقول:

الديمقراطية فى مصر اليوم تقف على شعرة، وكل الديمقراطيات التى طبقت منذ ثورة يوليو وحتى اليوم فاشلة مجرد «ديكور» علينا أن نبدأ التصحيح بأمرين.. أولهما.. أن نختار جمعية وطنية بانتخابات حرة من المفكرين لنضع دستورا يشترك فيه كل مفكرى مصر وعقلائها وحكمائها على أن يتم انتخابهم بواسطة الشعب.

ثانيا: تتكون جمعية عمومية تضع دستورا خلال عام وتطرحه على الشعب فى استفتاء حقيقى، ومن خلال هذا الدستور تحدد مسئولية البرلمان والرئيس وتتحول مصر إلى جمهورية برلمانية حقيقية وتلغى نسبة الخمسين فى المائة من العمال والفلاحين، ويلغى مجلس الشورى بالكامل ويكفينا مجلس نيابى واحد له سلطات واسعة قائم على انتخابات حقيقية وبنواب حقيقيين.. هذه هى بداية الديمقراطية السليمة: دستور جديد.. برلمان حقيقى.. إلغاء نسبة العمال والفلاحين.